الجلال والجمال في الخط العربي الكوفي

صفا لطفي عبد الأمير
كلية الفنون الجميلة-جامعة بابل

الفصل الأول

أولاً : مشكلة البحث:

هدف الفن الإسلامي (بما فيه من تكوين خطي) منذ نشؤه إلى إيجاد عالم مثالي متوازن يؤسسه عالمين مختلفين: (العالم المادي بما فيه منت مشهدية حسية) و(العالم اللامادي بما فيه من أثيرية وسمو) . والعالم الناتج من فعل هاتين البنيتين، يعد أهم المهيمنات البنائية والفكرية لديه (أي لدى الفن الإسلامي) . ثم من المرحلة بين البنيتين، تولد ثنائية على درجة عالية من القداسة : الأولى : ذات علو وسمو وقدسية تقود المتلقي نحو المطلق، والثانية تتجه صوب الأرض فهي ذات اتجاه أفقي، ارضي، حيوي . ثم إن انتقال عين المتلقي بين هذه الثائية، ينتج تحولاً في المفهوم الرمزي والتعبيري – ولا سيما في الخط الكوفي – على نحو يكون تارة ارضياً، وتارة أثيرياً، حلمياً، فوقياً، مقدساً، يتسع لموضوعات المطلق والعروج . إن تجربة الخطاط المسلم، في نهاية المطاف تبقى عملية تجسيد لرمزية الكون بمستواها السيميائي إلى : نفس سامية علوية، وبقايا أرضية، تتخذ حركة عروجية في سفر باتجاه الأعلى، محطمة للقيود الأرضية، ومحلقة حو المطلق فهي تهب المتلقي بعض الشعور بالسرور الداخلي الوئيد . وهكذا يصبح الخط العربي لاسيما الكوفي، هندسة روحية عميقة المعاني، مسافرة عبر المسافات المكانية والفترات الزمانية، لتختم رحلتها تلك بأجواء الذاكرة وتلتصق بها .

إنها هندسة حاملة للحدس والحس، بكل أشكالها الحسية والخيالية الكونية . ومن هنا نشعر ببحث الخطاط المسلم في الخط الكوفي نحو تأكيد أحد ثائيات الوجود تلك هي (ثنائية الجلال والجمال) من خلال هندسية الخط الكوفي وما يلحقه من شكل باتي كله لطافة ومرونة ورقة، والذي يحمل معاني عميقة ربما ارتبطت بالظاهر النسبي والظاهر المطلق كما تحمل المعنى المجرد والأثيري . (الحبيب، 1998) . من المعروف إن الحضارة الإسلامية حينما نشأت جاءت مليئة بفكر شمولي، استطاعت من خلاله، أن تترك بصماتها الثابتة على مر العصور. (الألفي 1967)

وهكذا أدى حضور الفكر التجريدي في الخط العربي الكوفي دوراً مهماً: فهو يبدو المنهل الخلاق والدافع القوي الذي يمكن المتلقي من البقاء بحالة تواصل غير منقطع مع المطلق . وهكذا استطاع الخطاط المسلم أن ينسج من خلال مفهومي الجلال والجمال، معاني مميزة، فقد ميز بين مفهوم الجلال الخاص بالباري عز وجل والمتسم بالقوة والمقدرة والهيبة من جهة، ومفهوم الجمال الصادر منه سبحانه وتعالى إلينا والمتسم بالرفق والرأفة والرحمة .

من هنا وجدت الباحثة إن ثنائية الجلال والجمال، قد أدت دوراً فعالاً في سلوك الخطاط المسلم، وهو ما ألقى على عاتق الباحثة مسؤولية البحث والدراسة المستفيضة لتوضيح النقاط الغامضة، من خلال دراسة الشروط التأويلية التي ألقت بظلالها على الإبداع الفني الخاص بالخط الكوفي، وكذلك فأن ثنائية الجلال والجمال في الخط الكوفي لم تتناول بالبحث والدراسة حسب علم الباحثة، لذلك يأتي هذا البحث ضمن هذا التوجه . ومن الدوافع التي دفعت الباحثة إلى دراسة الجلال والجمال في الخط الكوفي، هو إن ذلك الخط يعد

من الخطوط العربية العريقة والذي كانت ولادته على ارض عربية ثم انه يجمع بين بنيتين (الخط كبنية) و(الزخرفة النباتية كبنية أخرى) .

ثانياً : أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث الحالي في :

1. يعد هذا البحث مهاد نظري للباحثين في مجال الخط العربي الإسلامي .
2. يفيد الفنانين المعاصرين، الذين ادخلوا الخط العربي في نتاجاتهم الفنية .
3. يفيد الطلبة في كليات ومعاهد الفنون الجميلة ولا سيما في مادة التصميم ومادة علم الجمال
4. هو من المصادر التي تعطي مرجعية فرية لجميع الدارسين في حقل الدراسات النظرية التي تهتم بثنائية الوجود .

ثالثاً : هدف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن الجلال والجمال في الخط العربي الكوفي من خلال تحقيق ما يأتي:

1.إعطاء أرضية نظرية عن مفهومي الجلال والجمال .

2.تحليل بعض النماذج من الخط الكوفي لتعرف مدى اعتمادها المفهومين .

رابعاً : حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بدراسة ثنائية الجلال والجمال في الخط العربي الكوفي ذي الارضية النباتية .

خامساً : تحديد المصطلحات :

1. الجلال (Sublime) :

يعرف الجلال في الفكر الإسلامي بأنه : ((إن الجلال لله معنى يرجع منه اليه وهو منعنا من المعرفة به تعالى ... وهو الهيبة والربوبية والسلطان)) . (صفا، 1999) .

هو مفهوم يضم معاني القوة والصلابة والهيبة، وقد حاول الخطاط المسلم تجسيده من خلال هندسية الحرف العربي وصلابته – لاسيما في الخط الكوفي – باحثاً من خلال هذا الأسلوب عن حل لأحد أطراف الثنائية (الجلال – الجمال) .

2. الجمال (Beauty) :

ويعرف في الفكر الإسلامي: ((معنى يرجع من الخالق إلينا، وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندنا به .... ويضم معاني الرحمة والإنسانية والرأفة)) . (صفا، 1999)

وتعرفه الباحثة تعريفاً إجرائياً : ((مفهوم تقترن معه معاني اللطافة والسلاسة والمرونة ويتجسد في الخط الكوفي من خلال حركة التجريد الزخرفي النباتي الذي ينمو من الحروف العربية محققاً الطرف الثاني من الثائية، (الجلال – الجمال))) .

الفصل الثاني

المبحث الأول: الخط العربي الكوفي (لمحة تاريخية) :

بعد وفاة الرسول الكريم محمد (ص) بدأت الفتوحات الإسلامية، وقد انطلقت تلك الفتوحات لتضم مدناً ومناطق واسعة، ثم بدأت توجهات نحو تخطيط مدناً جديدة في تلك المناطق، كان من بينها مدينة الكوفة التي اختطت سنة 17هـ / 638م . (المنجد، 1972) . كانت الكوفة في بادئ الأمر، محض معسكراً من الخيام،

وما لبثت أن تحولت بمرور الزمن إلى مباني مشيدة، ثم بدأت بالنمو والاتساع، وقد اقترن ذلك بأتساع الفتوحات العربية نحو الشرق، بعد ذلك انتقلت الخطوط العربية المعروفة بـــ (المدنية والمكية) إلى المدن الإسلامية ومنها الكوفة، وعرفت هناك أول الأمر بأسماء المدن المهمة التي جاءت منها، ثم لم تلبث ان عرفت جميعاً في العراق بأسم الخط الحجازي ((نسبة إلى الحجاز)) .

وفي الكوفة، عني أهلها بتجويد نوع من الخط، هندسة أشكاله ومططت عراقاته واستقامت، وتتميز عن الخطوط الحجازية وغلب عليه الجفاف واستحق بذلك ان ينفرد بأسم جديد وهو ((الخط الكوفي)) . ومن الكوفة انتشر هذا النوع اليابس في أرجاء العالم الإسلامي، وأخذ الخطاطون يكتبون به المصاحف الشريفة ويحلون به المباني وتسك النقود، في حين ظل الخط الحجازي اللين في خدمة الدواوين لمرونته وسرعة كتابته . (إبراهيم، 1969) .

وتذكر المصادر إن: الخط الحجازي، جاء إلى العراق بصورتيه اللينة واليابسة بعد الفتح الإسلامي، وتعلمه أهل الكوفة وتناولوه بالتهذيب والتنسيق، ووجهوا عنايتهم أكثر ما وجهوها إلى الصورة اليابسة منه التي كانت تستعمل عادة في الشؤون الهامة مثل كتابة المصاحف والنقش على العملة وعلى المساجد، وعرفت هذه الصورة اليابسة للخط العربي بأسم الخط الكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة التي كان لها فضل كبير في تطورها. (محمد، 1971)

ومن الجدير بالذكر إن الخط العربي في الكوفة، نال قسطاً كبيرا من التجويد وتنوعت فيها على مر الزمن أشكاله، وتنوعت صورة متشحة بوشاح زخرفي خاص .

وقد ساعد مركز الكوفة العسكري والسياسي والعلمي (كونها عاصمة الخلافة) على ازدهار هذا النوع الجديد من الخط .

أما الخط الذي شاع عن (الكوفة) بحكم مركزها ووضعها الجديدين كان على صور ثلاثة :

1. صورة يابسة... وقد اصطلح على تسميتها بالخط الكوفي التذكاري .
2. صورة أخرى مخففة، هي خط التحرير .
3. والصورة الثالثة يمكن اعتبارها جمعاً بين النوعين، هي خط المصاحف .

والواقع إن الفنان في الكوفة قد أدرك ما في الحروف العربية مما يصلح لأن يكون أساساً لزخارف جميلة فرؤوس الحروف وسيقانها وأقواسها ومداتها وخطوطها الأفقية قد اوحت عليه بعناصر زخرفية شتى، ما كاد يرسمها حتى بعثت في نفسه شعوراً من ارتياح صانع الجمال، ولقد أحس بالارتياح الأكبر عندما وجد بالقرآن الكريم سورة تحمل اسم (القلم) الذي هو الأداة الرئيسية لفن الخط . (محمد، 1971) . نحن الآن إزاء أنواع الخط العربي الكوفي، فقد اعتاد مؤرخو الفن الإسلامي إلى تقسيمه إلى أنواع عدة هي :

1. الخط الكوفي البسيط: وهو النوع الذي لا يلحقه، التوريق أو التخميل أو التصنيف .

2. الخط الكوفي المورق: تظهر مع هذا النوع من الخط الكوفي زخارف تشبه إلى حد ما أوراق الشجر، تنبت من حروفه القائمة وحروفه المستلقية وبالأخص الحروف الأخيرة سيقان رفيعة تحمل وريقات نباتية متنوعة الأشكال .

3. الخط الكوفي ذي الأرضية النباتية: (الكوفي المخملي) وتستقر فيه الكتابة فوق مهاد من سيقان النبات اللولبية وأوراقه

4.الخط الكوفي المضفر (المعقد أو المترابط) : وهو نوع من الزخارف الكتابية التي بالغ الخطاط المسلم في تعقيدها، بلغ في بعض الأحيان حداً يصعب فيه تمييز العناصر الخطية من العناصر الزخرفية، وقد تظفر حروف الكلمة الواحدة أو كلمتان وهكذا .

5.الخط الكوفي الهندسي الأشكال: ويمتاز ع بقية أنواع الخطوط الكوفية بأنه شديد الاستقامة قائم الزوايا، أساسه هندسي بحت، ولا تزال نشأته غير معروفة .

ويصل بالمتلقي في بعض الأحيان حداً لا يستطيع قراءة عبارات هذا النوع من الخط الكوفي لشدة تداخله واشتراك حروفه، أما ميدان ظهور هذا النوع من الخط فهو على جدران المساجد. (إبراهيم، 1969). ويعد الخط الكوفي مظهراً من مظاهر جمال الفنون الإسلامية، وهذا هو ما كان سبباً في تباري الخطاطين لتحسينه والتفنن في زخرفة حروفه، لأن الفنان المسلم وجد فيه من المرونة والمطواعية الشيء الكثير، والخط الكوفي غني بالأشكال، لذا فقد ظل يستعمل في العمارة، وظهر بخامات عديدة منها الرخام والخشب والمعدن وغيرها من الخامات. (الجبوري، 1986) .

المبحث الثاني : ثنائية الجلال والجمال في الخط العربي الكوفي :

حين نتأمل الكتابة العربية، تتكشف لنا خصائص وسمات يقل نظيرها بين الكتابات الأخرى، إذ اعتمدت أسلوب التجريد منذ البداية في منهجها متجاوزة الصورة المرئية الظاهرية وموشحه بسمة هندسية .

والآن نرتحل مع نوع من أنواع الخط العربي الذي اتخذ منذ ولادته نزعة هندسية لينطلق من علاقة صميمية مع مفهوم التجريد، وليجسد لنا ثنائية مفاهيمية وهي (الخط كتجريد – التجريد كخط) وهو بدوره ما ينسج ثنائية الجلال والجمال . (الحبيب، 1998) . ذلك الخط هو الخط العربي الكوفي الذي ازدهر في مدينة الكوفة بعد انتقال الخلافة الإسلامية إليها، إذ اهتم القوم بتجويد نوع من الخط، هندسة أشكاله واستقامت، وتميز عن الخطوط الحجازية وغلب عليه الطابع الصلب واستحق بذلك أن ينفرد باسم جديد وهو (الخط الكوفي) ومن الكوفة انتشر هذا النوع من الخط إلى أرجاء العالم الإسلامي، فكتبت به المصاحف وحليت به المباني ونقش على النقود . ومن الجدير بالذكر إن الخط الكوفي جمع سمات جمالية عدة فهو الخط الوحيد الذي احتضن (التوريق) ووحد بين الخط والزخارف النباتية، فنجده تارة يحور نهايات الحروف إلى ما يشبه أوراق الورد وتملأ الأرضية التي تحيط ببعض الكتابات الأخرى زخارف نباتية واضحة .

في حي تظهر في بعضها أغصان نباتات متسلقة، أما في الخط الكوفي المظفور فهو الآخر يكتسب سماته الجمالية من العالم النباتي . (إبراهيم، 1969) . وترى الباحثة إن هذا الجمع بين الخطوط الهندسية والخطوط النباتية هو في حد ذاته يشكل لنا ثنائية جمالية لطالما أكدها الفكر الإسلامي، فبشيء من التأمل نستطيع أن نجد الكثير من الجماليات في المنظومة الخطية الكوفية، فالجمع بين مرونة الخطوط وسلاستها من جهة وبين حدة الخطوط وصرامتها من جهة (في الخط الكوفي) تحديداً، إنما جاء ليؤكد ثنائية (الجلال والجمال) تلك الثائية التي شغلت تفكير العديد من المفكرين ولا سيما الفكر الإسلامي الذي كانت غايته القصوى ليست في الجمالات الناقصة الزائلة بل في الجمال بالذات الكامل الدائم .

فتلك الأفكار وجدت صداها في سلوك الفنان المسلم، فقد أتلفت تلك الآراء والأفكار مع النتاجات الفنية الإسلامية، والتي كان من بينها (الخط الكوفي) . نحن الآن إزاء ثنائية (الجلال والجمال) في الخط الكوفي، فالفكر الإسلامي يرى إن الجلال نوعان: الجلال الأول هو الذي ينفرد به الله عز وجل، وليس لأحد معرفة

أو علم به فهو يظهر منه واليه، لذلك فهو خاص بالرفيق الأعلى، وأما الجلال الثاني فهو يظهر من الحق إلينا ويسمى جلال الجمال لأنه يتجلى من الجمال .

أما الجمال فهو معنى يظهر منه إلينا فنقابله بالهيبة كنوع من حسن الأدب . وسوف تتكلم الباحثة عن جلال الجمال بوصفه (الجلال) وذلك لأن الجلال الأول ليس لأحد الإحاطة به، فالجمال لله علواً نسميه الجلال ودنواً نسميه الجمال، وتتحدد ثنائية (الجلال والجمال) في القرآن الكريم، فما من آية في القرآن تتضمن رحمة إلا ولها أخت تقابلها تتضمن نقمة كقوله تعالى ((يوم تبيض وجوه)) (سورة آل عمران، 106) فهنا على المرء أن يتذكر جلال هذه الآية وهي قوله عز وجل ((وتسود وجوه)) (سورة آل عمران، الآية 106) . إذن فان الوجود يحكمه شيئان متضادان هما الجلال والجمال . (صفا، 1999) . فالموجودات في هذا الكون هي مظاهر جمال الحق، وكذلك صفات الحق (الله سبحانه وتعالى) التي تدل على الجلال، كالقاهر والرقيب، فكل ما فيه هيبة وسلطان وقوة فهو يدل على صفات الجلال، وكل ما فيه رحمة ورأفة، فهي صفات تدل على الجمال، كالرحيم والرؤوف وهي أسماء الجمال، والتي تعم الوجود كله، وفي هذا يقول الله عز وجل (ورحمتي وسعت كل شيء) ((الأعراف، 155)) ولذا فان الوجود تحكمه ثنائية نجدها متمثلة في مظاهر الوجود، وهي (الجلال والجمال) . وهذا ما نراه متجسداً في الخط الكوفي، فالخطوط الهندسية تحيل المتلقي إلى مفهوم الجلال والخطوط المرنة (النباتية) تحيل المتلقي إلى مفهوم الجمال . أما الحروف العربية المكتوبة بطريقة الخط الكوفي فإننا حين تأملنا لها نجدها تتخذ من المربع وحدة لها في الخط الكوفي . (كأصغر وحدة قياسية يتألف منها كل حرف أبجدي) . (آل سعيد، 1981) . وهي تعتمد النسبة الذهبية المستخرجة من مستطيل ومربع اخرجا من نصف دائرة كنسبة ذهبية .(شكل1)

وهذا ما يؤكد تفوق الخطاط المسلم في الخط الكوفي بهندسة الخط وذلك بجعله يخضع في بائه التكويني إلى شكل من الأشكال الهندسية وهو (المربع) . إن الإيقاعية الأساسية للخط الكوفي ستظل إيقاعية (حركية سكونية) فهي كجذر حضاري بهيئة (حركة يتبعها سكون) وهي تجري في صميم ما كشفت عنه الثقافة الإسلامية فيما بعد عبر الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية . (آل سعيد، 1981) . وهكذا فان هذه السمة الجمالية تظهر واضحة في الخط الكوفي ذي الأرضية النباتية (الكوفي المخمل) والتي تستقر فيه الكتابة فوق أرضية من سيقان النباتات اللولبية وأوراقه .

والتي تكون (حركة وسكوناً) متداخلين كتداخل الليل والنهار والسر والجهر والحياة والموت .

وطالما حفل الفكر الإسلامي نفسه بهذا الإيقاع نفسه، إذن فان ما يميز هذا النوع من الخط هو طبيعة الحركة الخطية والسكونية التي تظهر مستقيمة وهندسية من جهة، ومنحنية ومرنة من جهة أخرى، ثم انسيابيتها على محور أفقي .

إنها انسيابية الخط دونما هوادة وانه لترجمة بديعة لسفرة إيقاعية هي في أقصى درجاتها، سفر نحو المطلق، فهي نبراس للخطاط فهي تمثل آيات القران الكريم وكتابتها . (آل سعيد، 1977) . والخط الكوفي كخط يغلب عليه الطابع الهندسي، يجسد مبدأ التجريد باجلى صورة، فقد انتزعته يد الخطاط من عالم المحسوس ليرحل في سفر نحو جوهر النفس مستقلاً بذاته، فهي تنتزع نزوعاً ذهنياً لتسبر الأغوار في غياهب الفكر المجرد، ووسيلتها في ذلك القوانين الرياضية مستفيدة من الأشكال الهندسية، لتجسد بعداً جمالياً مميزاً يجعل المتلقي يحلق في عوالم سرمدية وأول الأسرار الجمالية هو حركة التجريد التي أدت إلى ظهور الخط الكوفي كوجود هندسي بعيداً عن الوجود المادي . وهكذا يصبح الخط الكوفي بالبعد الهندسي دالاً على هندسة روحية عميقة المعاني ترتحل أثيرياً متجاوزة حدود الزمان والمكان ومخترقة أجواء الخيال في هندسة

تحوي (الخيال والتخيل) بكل أشكالها التصويرية والحسية والكونية إن هذه الهندسة التأليفية للخط الكوفي إنما هي مستمدة من الهندسة المطلقة كفكر مجرد .

وهكذا أصبح الخط الكوفي له أصوله وقواعده التي ارتقت به ليكون من أجمل أنواع الخط العربي، فقد بدأ هذا الخط أول ما بدأ في كتابة المصاحف والصلوات والابتهالات وما كان بد من تجميل الخط فالله عز وجل أكد في كتابه الكريم ((الذي علم بالقلم)) (العلق، 3– 4) . ثم أكد الإمام علي بن أبي طالب (ع) جمال الخط وحسنه بقوله: ((الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً)) . وهكذا اهتم الخطاطون بالخط وبكل ما يتصل به من أدوات، أليست هي اشرف الأدوات وأجلها تلك التي أقسم بها الخالق عز وجل: ((ن والقلم وما يسطرون)) (القلم، 1) . وقول الرسول الكريم محمد (ص) : ((أول ما خلق الله القلم)) . (الحبيب، 1998) . من هنا نستطيع استجلاء أهمية الخط لكوفي، فالخط الكوفي، فالخطاط إذاً خط طلب الخلوة لسكون القلب، فعمل عملاً صالحاً، ومن هنا نشعر بتلك الرائحة القدسية التي تغمر القلم .

الفصل الثالث :تحليل العينات

نموذج (1)

المضمون	البسملة ((بسم الله الرحمن الرحيم))
نوع الخط	خط كوفي مخملي (مورق)
نوع الزخرفة	زخارف نباتية (قوامها لفائف العنب وأوراقه)
بناء التكوين الخطي	أفقي
اسم الخطاط	محمد علي مكاوي

اللوحة الخطية هي عبارة عن البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) فاتحة كل شيء عند المسلم وقد حاول الخطاط هنا، ان يخلق تركيبة كلية لا تتوقف، فقد عمد الخطاط الى جعل الكلمات ضمن تكوين حلزوني من النباتات محققاً سمة التوع وليعطي ايقاعاً حراً وغير رتيب .(شكل 2) حقق الخطاط التوازن من نوع التوازن الحر، اما المتماثل فيظهر في حروف الالف وللام .

وقد استفاد الخطاط من ميزة ما تتمتع به معظم الخطوط العربية وهي السلاسة في خلق تسلسل في حركة عين المتلقي من خلال انسيابية الخطوط، وهو في نفس الوقت يحقق تماسكاً ووحدة داخل المنظومة الخطية، اما الفضاء فقد عالجه الخطاط من نوع الفضاء المغلق داخل اللوحة الخطية . التكرار ها هو تكرار جزئي يعمل ضمن المنظومة الخطية ككل من خلال بعض الحروف (الالف واللام) من جهة وتكرار كلي يظهر من خلال المهاد النباتي المتكرر بكليته .

والمتلقي للوحة الخطية يجدها تحقق ثنائية فكرية، لطالما تحدث بها المفكرون في الفكر الاسلامي تلك الثنائية هي الجلال والجمال، وقد حققها الخطاط من خلال خط البسملة (بالخط الكوفي) والكل يعرف انه من الخطوط التي تمتلك سمة القوة والحدة، لذا فقد تحقق هنا احد اطراف الثنائية وهو (الجلال)، وسلاسة وليونة الخطوط النباتية المتمثلة بالاغصان والاوراق الكرومية، تحقق (الجمال) ثم ان البسملة تحوي لفظ الجلالة لله: واللام الاول فيه عبارة عن الجلال لأن الجلال اعلى تجليات الذات وهو اسبق اليها من الجمال . (الحبيب، 1998) . وهكذا اتسم الخط العربي لا سيما الكوفي بالنزعة الهندسية ولهذا استحق ان يرتبط بمعاني الجلال، ثم ما رافقته في رحلته من تجريدات زخرفية نباتية استحقت ان تتوشح بوشاح الجمال، لتنسج بخيوطها الجميلة قصة الجلال والجمال .

نموذج (2)

المضمون	(ما أصابك من حسنة فمن الله) .
نوع الخط	كوفي (مورق)
نوع الزخرفة	نباتية (قوامها أزهار أوراق)
بناء التكوين الخطي	عمودي
اسم الخطاط	حسن قاسم حبش

الخط الخارجي للتكوين الخطي، على شكل قبة في الوسط ومن كل جانب يوجد قوس، ولهذا فهو يعطي انطباع لعين المتلقي من إن التكوين الخطي عمودي البناء، فالحركة هنا تبدأ من أسفل إلى أعلى، فهي دعوة للمتلقي للارتباط (بالمطلق) .

يحقق الخطاط التماثل والتقابل في هذه المنظومة الخطية من خلال بنائه لها بناءاً معمارياً ، (شكل 3) كذلك إن التسلسل في الحركة حققه الخطاط من خلال انسيابية الأشكال الخطية (المعمارية) ومما حققه تماسك ووحدة داخل ذلك الشكل، أما الفضاء فقد عالجه الخطاط هنا من نوع الفضاء المغلق داخل المنظومة الخطية، والفضاء المفتوح خارج المنظومة، أما الإيقاع فهو هنا إيقاع متماثل (سيمتري) .

وقد حقق الخطاط التنوع من خلال جعل الخط باللون الأسود والتوريق النباتي، جعله بأسلوب التنقيط، ومن هنا نستطيع أن ندرك العبقرية الخلاقة المبدعة التي جردت أهم خاصية هندسية ألا وهي النقطة، الخط،

لذلك قيل في الخط انه هندسة روحية ظهرت بآلة جسدية . اجل إن الخط بما هو عنصر هندسي والخط بما هو كتابة دالة عن المعاني هندسة وهي ليست بهندسة مكانية فضائية، بل هي هندسة روحية حاملة للمعاني، راحلة بها عبر الأمكنة والأزمنة مخترقة بها أجواء الذاكرة وملتحمة بها، هي هندسة حامل للتصور والصور بكل أشكالها الحسية والخيالية والكونية . (الحبيب، 1998) .

وهكذا اتسم الخط العربي لاسيما الكوفي بالنزعة الهندسية ولهذا استحق أن يرتبط بمعاني الجلال، ثم ما رافقته في رحلته من تجريدات زخرفية نباتية استحقت أن تتوشح بوشاح الجمال، لتنسج بخيوطها الجميلة قصة الجلال والجمال .

نموذج (3)

المضمون	ولمن خاف مقام ربه جنتان
نوع الخط	كوفي مورق
نوع الزخرفة	تجريدات زخرفية نباتية (قوامها مراوح نخلية)
بناء التكوين الخطي	أفقي
اسم الخطاط	حسن قاسم حبش

التكوين الخطي هو عبارة عن آية كريمة هي (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

وظف الخطاط عناصر التكوين في تكوينه الخطي، فقد جعل التكرار عامل داخل المنظومة الخطية، فقد وظفه الخطاط توظيفاً فنياً إبداعيا بأن عمد إلى جعل اللام في كلمة (لمن) والألف في كلمة (خاف) والألف في كلمة (مقام) ووضع لحرف (الهاء) في كلمة (ربه) استقامة تتبع استقامة هذه الحروف، والألف في (جنتان) جعلها كل هذه الحروف ممدودة ومتكررة، مما حقق توازناً متماثلاً (سيمترياً) . الفضاء في التكوين الخطي هو فضاء مفتوح عامل ضمن التكوين وفي الوقت نفسه فهو يخدم في تحقيق الوحدة . استطاع الخطاط ان يستخدم الحروف الممدودة (المستقيمة) بصورة جمالية، مما ساعد على خلق نهايات جميلة للتكوين ولكي يحقق تنوع داخل اللوحة الخطية فقد أضاف التجريدات الزخرفية النباتية مما منحها جمالاً وأبعد عنها كل ما يوحي بالملل والرتابة . ومن ناحية الشكل والمضمون، فقد كان الخطاط موفقاً في إبداع تكوين خطي جديد، فالمتأمل للتكوين الخطي (ولمن خاف مقام ربه جنتان) يجده مؤسس على تجريدات زخرفية نباتية قوامها (المراوح النخلية)، ربما تذكر المتلقي بالآية الكريمة ((أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب)) (البقرة، 266) . والآية الكريمة ((أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها

تفجيراً)) (الإسراء، 91) . وقوله تعالى : ((فأنشأنا لكم به من جناتٍ من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون)) . (المؤمنون، 19).

المتلقي حين يمعن النظر في التكوين الخطي (قيد التحليل) يجد إن ثنائية الجلال والجمال تلقي بظلالها عليه فمن جهة هندسية الخط وصلابته (جلال) ومن جهة مرونة التجريد النباتي وسلاسته (جمال) ثم إن لمضمون التكوين الخطي جلال وجمال (فالخوف من الله ومن قوته وسلطانه) يؤكد الجلال، هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن إثابة الله سبحانه وتعالى للمؤمن بتكريمه بالجنة، يعد من معاني الجمال .

نموذج (4)

المضمون	يقول الله تعالى في كتابه الكريم ((لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً)) صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم
نوع الخط	كوفي (مورق)
نوع الزخرفة	نباتية
بناء التكوين الخطي	أفقي
اسم الخطاط	محمد عبد القادر عبد الله

التكوين الخطي يبدأ بعبارة (يقول الله تعالى في كتابه الكريم) : وقد وضعها الخطاط المسلم بحجم اقل من حجم الآية الكريمة التي تأتي بعدها، ولم يضع معها توريق نباتي، وذلك لخلق نوع منن التنوع داخل النسق الخطي.

عند تحليل البنية الخطية نستطيع أن نلحظ نوعاً من التوازن، هو التوازن المتماثل السيمتري، مما يحقق إيقاعا واحداً يقود إلى تحقيق اتجاه واحد في النسق الخطي مما يدل على تحقيق الوضع الاتجاهي للخط . ويحقق الخطاط من خلال ذلك (مبدأ الاستمرار) في جعل عين المتلقي مستمرة في تتبع التكوين الخطي من جهة، وفي استمرارية التجريدات الزخرفية من جهة أخرى .

أما الفضاء فهو هنا من النوع المفتوح، ولم يدع الخطاط جزأً في التكوين الخطي يفرض سيادته على بقية الأجزاء ولكنه حقق السيادة من خلال توحيد اتجاه النظر .

يحاول الخطاط هنا أن يجعل من الأشكال النباتية والتكوين الخطي، مجموعة من الأشكال والعلامات الحسية البصرية المؤلفة والتي تحمل المعنى اللفظي السمعي، تحمل المعنى المرتبط بالظاهر النسبي والظاهر المطلق كما تحمل المعنى المجرد والطيفي .

فالمتلقي حينما ينظر إلى هذه الأشكال الحسية ويتأمل صورتها العقلية الهندسية فتتراءى له في خط الأفق البعيد أسرار تدعوه إلى كشفها . ويتساءل أسئلة بسيطة تبدو بديهية : لماذا انتصب الألف ولماذا بسطت الباء ولماذا كانت النون نصف دائرة ولماذا كانت الراء ربعها ؟ لماذا اعتبر الخط هندسة روحية ؟ .

نموذج (5)

المضمون	خير الناس انفعهم للناس
نوع الخط	كوفي ذي الأرضية النباتية
نوع الزخرفة	تجريدات زخرفيه نباتية
بناء التكوين الخطي	أفقي
اسم الخطاط	برهان كبارة

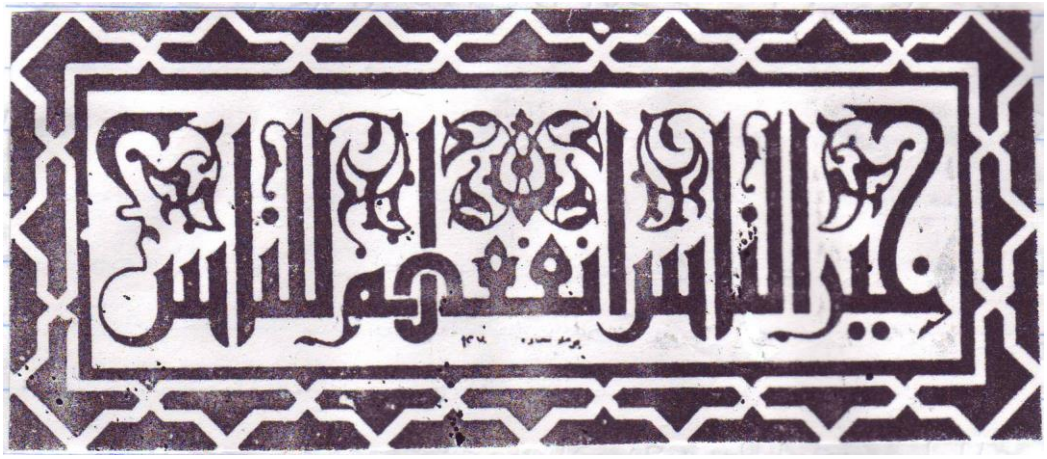

يؤطر الخطاط هنا، التكوين الخطي بإطار هندسي قوامه خطوط هندسية، ثم يأتي بعد ذلك النسق الخطي وهو عبارة عن جملة : ((خير الناس انفعهم للناس))، مبدأ التكرار يبدو واضحاً في هذا التكوين الخطي، إذ يكرر الخطاط (حرفي الألف واللام) بنفس القياس وبنفس الشكل . كذلك يتحقق مبدأ التعاكس،إذ وظفه الخطاط م خلال التجريد الزخرفي الذي يعمل ضمن التكوين الخطي ثم إن الخطاط جعل للتكوين الخطي بؤرة مركزية منن خلال جعل شكل زخرفي يتوسط التكوين وتدور حوله من الجهتين اليسرى واليمنى باقي التجريدات الزخرفي وبوضع متناظر.

كذلك حقق الخطاط المسلم هنا وضع اتجاهي واحد في التكوين عموماً، ويحقق الخطاط التسلسل من خلال مرونة التجريدات الزخرفية النباتية، مما يحقق، تماسك ووحدة داخل النسق الخطي، أما الفضاء فقد عالجه هنا من نوعين الفضاء المغلق داخل التكوين الخطي، والفضاء المفتوح خارج التكوين أما الإيقاع فهو هنا إيقاع غير متماثل، إذ ليس هناك تماثل بين طرف وطرف آخر في التكوين .

ترى الباحثة إن ظهور الخطوط الهندسية المتمثلة بالخط الكوفي، في التكوين الخطي ومنن ثم وجود التجريد الزخرفي المتوسط التكوين وانطلاق باقي التجريدات الزخرفية منه إنما جاء ليبرهن على حقيقة أراد الخطاط المسلم وضعها في هذا التكوين الخطي وهي إن الله هو مصدر الجمال، وان الجلال انفرد به سبحانه وتعالى التي اختص بها .

فالجمال والجلال مصدرها الخالق المصور جل جلاله، والجمال هو حسنه من حسنات المولى عز وجل وأثر من آثار كرمه . كذلك ترى الباحثة، إن الخطاط المسلم أراد التعبير عن الجلال والجمال، فالجمال هو ما يتصف بالرحمة وهي ما يتصف بالعظمة والاقتدار وقد جسد ذلك من خلال وحدة المتضادات باعتماده أسلوب (الخط الهندسي – الخط المنحني) .

الفصل الرابع

أولاً : نتائج البحث :

1. إن سمة التجريد التي يتسم بها الخط الكوفي، جعلت طبيعة التكوين الخطي ذات طبيعة تصحيفيه، مثالية، متجاوزة البعد (الوظيفي) لتضم بين طياتها أبعاداً فكرية وجمالية، ذات طبيعة رؤيوية محكومة بسمة مستديمة.
2. مكانة الخط العربي وأهميته وقدسيته (كونه يعد لغة القرآن الكريم)، لدى الخطاط المسلم كميدان إبداعي، جمالي يمتلك تفرداً وخصوصية، جعله في مقدمة الموضوعات في الفن الإسلامي.
3. وضع الخطاط المسلم في الخط الكوفي، نصب عينيه ثنائية فكرية تعد من الثنائيات المهمة في الفكر الإسلامي كونها ترتبط بالخالق عز وجل، تلك الثنائية هي (ثنائية الجلال والجمال) التي حققها من خلال هندسية (الخط الكوفي) ومرونته وسلاسة الخطوط النباتية المنحنية .
4. حاول الخطاط المسلم في الخط الكوفي، من خلال خلق تكوينات خطية يتبعها تجريدات زخرفية أن يخرق الكتلة الخطية من خلال تلك التكوينات وتهشم هيئتها الهندسية المحددة وترحيل الرؤية إلى مستويات متعددة ومتفاوتة البعد، عن المركز (البصري) .
5. للتجريدات الزخرفية النباتية المرافقة للخط الكوفي، وظيفة سيميائية مهمة .

ثانياً : التوصيات :

1. اعتماد الخطاط المسلم في الخطوط الأخرى ثنائية الجلال والجمال .
2. ضرورة عقد ندوات وحلقات دراسية عن طبيعة الخط العربي، لا سيما الخط الكوفي .
3. إصدار مجلات دورية تتكلم عن مواضيع الخط العربي، لا سيما الخط الكوفي .
4. اعتماد التكوينات الزخرفية مع الخط العربي كونها تشكل ثنائية متميزة .

ثالثاً : المقترحات :

استكمالاً للبحث الحالي توصي الباحثة بإجراء الدراسات الآتية :

1. الجلال والجمال في الأشكال الايقونية للخط العربي .
2. جمالية الخط العربي النسخي .
3. الجلال والجمال في خط الثلث .
4. جمالية خط الرقعة .

المصادر :

القرآن الكريم
– إبراهيم، جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، المطبعة العالمية، القاهرة : 1969 .
– الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، أصوله وفلسفته ومدارسه، دار المعارف، ط2، لبنان: 1967.
– آل سعيد، شاكر حسن، مجلة فنون عربية، ع1، 1981 .
– آل سعيد، اكر حسن، مقدمة في دراسة الوعي الجمالي للفكر العربي الإسلامي، مجلة آفاق عربية،ع4، بغداد : 1977
– الجبوري، محمود شاكر محمود، نشأة الخط العربي وتطوره، منشورات مكتبة الشرق الجديد، بغداد : 1974 .
– حسن، قاسم حبش، جمالية الخط الكوفي، بغداد : 1984 .
– الحبيب، بيدة، صورة الإنسان الكامل في الخط العربي، مجلة الحياة الثقافية، ع93، إصدار وزارة الثقافة، تونس، 1998
– صفا، لطفي عبد الأمير، القيم الفكرية والجمالية للوحدات الزخرفية في عمارة سامراء للفترة من 221هـ – 269هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية الفنية، 1999 .
– محمد، عبد لعزيز مرزوق، العراق مهد الفن الإسلامي، مديرية الثقافة العامة، بغداد :1971 .
– المنجد، صلاح الدين، دراسات في الخط العربي، مطبعة دار الكتاب الجديد، بيروت :1972 .

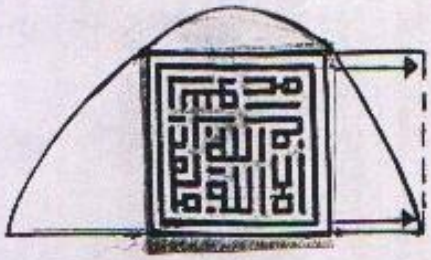

« شكل (١) »

« شكل (٢) »

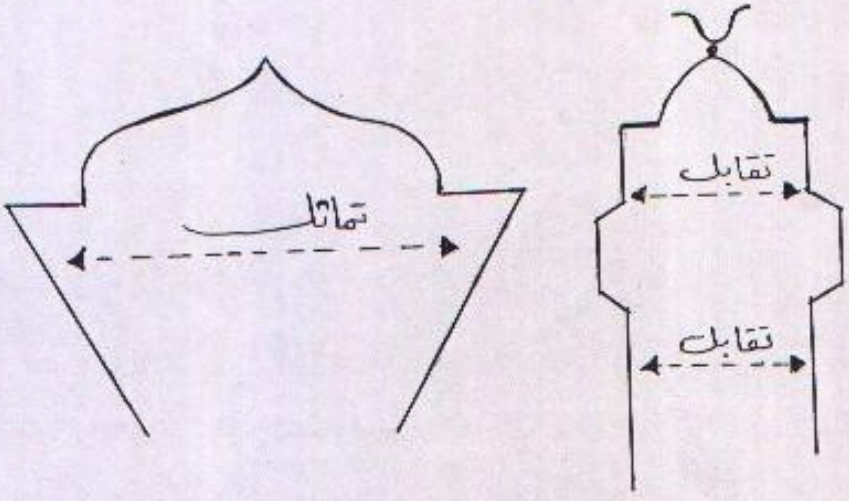

« شكل (٣) »